مركز نماء للبحوث والدراسات
Nama Center for Research and Studies
نماء وانتماء

وعي
نحو ثقافة مؤصّلة

علم الاستغراب

مجلة علميَّة محكَّمة تصدر سنويًا عن مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث.
تعنى بجميع شؤون الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثر

مواضيع العدد:

مراكز البحث في إسرائيل وتأثيرها في دائرة صنع القرار
د.صالح نعامي

نحو منهجية مقترحة لعلم الاستغارب
د. نايف بن نهار

مدرسة التفكيك
أ.د.عز الدين معميش

قراءة الغرب من منظور مدرسة التجديد الحضاري الإسلامي
- مالك بن نبي وعبد الوهاب المسيري نموذجا-
أ.د.عبد القادر بخوش

استغراب بلا اغتراب ولا غربفوبيا
أ.د.عدنان المقراني

العدد الأول

مجلة علمية محكمة تصدر عن "مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث"

تعنى بجميع شؤون الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثر

مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث

- البريد الالكتروني : wa3efoundation@hotmail.com
- الموقع الالكتروني : www.wa3efoundation.net

مركز نماء للبحوث والدراسات

- البريد الالكتروني : info@nama-center.com
- الموقع الالكتروني : www.nama-center.com

مجلة علم الاستغراب

- المشرف العام : د. نايف بن نهار
  رئيس مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث
  والعميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا بجامعة قطر
- رئيس التحرير: أ.د عبد القادر بخوش
- لجنة التحرير :
  أ.د عز الدين معميش
  أ.د محمد أمزيان
  أ.د ثناء الندوي
  د. أحمد زايد
- المراجعة والإخراج الفني: خالد التايدي
- البريد الالكتروني للمجلة: wa3efoundation@hotmail.com
- الموقع الالكتروني : www.wa3efoundation.net

فهرس المحتويات

المستهل

- كلمة المشرف العام — 7
  د.نايف بن نهار
- كلمة رئيس التحرير — 13
  أ.د عبد القادر بخوش

في البنية النظرية

- نحو منهجية مقترحة لعلم الاستغراب — 18
  د.نايف بن نهار

في البنية العملية

- مراكز الأبحاث في إسرائيل وتأثيرها على دائرة صنع القرار — 47
  د. صالح النعامي

مقاربات

- قراءة الغرب من منظور مدرسة التجديد الحضاري الإسلامي مالك بن نبي وعبد الوهاب المسيري نموذجا — 90
  أ.د عبد القادر بخوش
- مدرسة التفكيك — 114
  أ.د عز الدين معميش

مقالات

- استغراب بلا اغتراب ولا غَرْبَـفُوبيا — 136
  أ.د عدنان المقراني

في البنية النظرية

نحو منهجية مقترحة لتأسيس علم الاستغراب

الدكتور: نايف بن نهار
العميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا بجامعة قطر

مقدمة

لقد كانت هناك محاولات عديدة للبدء **بعلم الاستغراب**، لكن في اعتقادي أنَّ هذا المشروع بدأ بدايةً خاطئة، وانحرف عن مساره تبعًا لذلك. فقد كانت محاولة الدكتور حسن حنفي هي المحاولة الأبرز، لكنها محاولة لا يمكن التعويل عليها؛ لكونها نقلت **علم الاستغراب** من الخطاب العلمي المنهجي إلى الخطاب الأيديولوجي الانتقامي الذي لا يؤمن سوى بمنطق الانتصار أو الانكسار، الفوز أو الخسارة، و**علم الاستغراب** لا يمكن إلا أن يكون خاضعًا للمنطق العلمي لا للمنطق الأيديولوجي. وصوَّر آخرون **علم الاستغراب** على أنه محض سرد تاريخي لمطلق الاحتكاك بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وهذا ما جعل المهمة أكثر تعقيدًا؛ إذ صار من الواجب قبل البدء بالبحث أن تنفي اللبس المتولّد من بعض المحاولات السابقة، وليس البدء ابتداءً وأصالةً.

وهذه الدراسة المقترحة التي أقدّمها؛ هي محاولة لإعادة ترتيب الانطلاقة، محاولةٌ خاضعةٌ كل الخضوع لتقييم الأساتذة والباحثين في هذا الشأن لاستخراج سلبياتها؛ كي نصل في نهاية المطاف إلى أفضل السبل المؤدية إلى تأصيل هذا العلم تأصيلاً منهجيًا.

وقد بحثتُ في هذه الدراسة خمسة أسئلة:

- **ما موضوع علم الاستغراب وتعريفه؟**
- **هل الاستغراب علم؟**
- **ما غاية علم الاستغراب؟**
- **ما منهج دراسة علم الاستغراب ؟**
- **ما قضايا علم الاستغراب ومباحثه؟**

هذه الأسئلة _التي من شأن الإجابة عليها أن تُحدد هويّة هذا العلم وبوصلته_ لم نصل بعدُ إلى الإجابة عليها بصورة واضحة، وباستثناء مساهمة الدكتور حنفي التي حرَفت العلم عن مساره، فإنَّ كلَّ الدراسات التي اطّلعتُ عليها؛ هي حديثٌ «**عن**» الاستغراب وليست حديثًا «**في**» الاستغراب.

المبحث الأول: علم الاستغراب: الموضوع والتعريف

لن نخوض هنا في نقد تعريفات **علم الاستغراب** المقترحة من قِبل الباحثين العرب،(١) بل سنشرع مباشرةً في تبيين التعريف المختار؛ إيجازًا واختصارًا، فنقول: كلمة «**استغراب**» تبدأ بحروف: همزة الوصل والسين والتاء، وهذه الحروف الزائدة على الفعل الأصلي تدلُّ من حيث الأصل(٢) على طلب شيءٍ ما، كما هو مقرَّرٌ في علم الصرف.(٣) فحين نقول «استغفار» فإننا نطلب المغفرة، وحين نقول «استعلاء» فإننا نطلب العلو، وحين نقول «استرضاء» فإننا نطلب الرضا، وهلم جرا.

تفريعًا على ما سبق، حين نقول «**استغراب**» فإننا نطلب شيئًا ما، وهذا الشيء هو الغرب. لكن السؤال: أي غرب نطلب؟، هل نطلبُ الغرب مطلقًا أم باعتبارات معيّنة؟. **علمُ الاستغراب** لا يطلب الغربَ إلا من اعتبار محدد، وهو: **اعتبار التأثير المعرفي**، أي أننا نبحث عن الغرب باعتباره كائنًا معرفيًا مؤثرًا. فالغرب له صرح معرفي كلّي ــمنذ العصر الأثيني إلى العصر الحديثــ تم تدويله بصور مختلفة، هذا الصرح هو موضوعُ **علم الاستغراب**.

إذن التعريف المقترح لعلم الاستغراب أنَّه: **العلم الذي يدرس الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثّر**.(٤)

علم الاستغراب هو: العلم الذي يدرس الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثّر

يبدو هذا الكلام عامًا جدًا؛ لأن الحديث عن الغرب باعتباره كائنًا معرفيًا يعني الحديث عن جميع مجالات المعرفة، سواءً كانت مرتبطة بالعلوم التطبيقية أو العلوم الاجتماعية والإنسانية أو الأدبية أو الفنية أو غير ذلك، ولا يمكن ــبطبيعة الحالــ أن يكون هذا كلُّه موضوعًا لعلمٍ واحد. ولذلك نحتاج هنا إلى تحديد أكثر، ولفعل ذلك لا بد أن نوضح نقطتين:

---

(١) سنتعرّض لبعضها في ثنايا البحث.

(٢) نقول من حيث الأصل؛ لأنها قد تأتي لغير الطلب، فقد تأتي للتحويل مثل: ''استحجر الطين'' أي صار حجرًا. وقد تأتي للإخبار عن المطاوعة، مثل ''استقام'' و ''استحكم''. راجع في ذلك: الرائقي المالكي، حمد بن محمد، **فتح الفعّال على القصيدة المسماة لامية الأفعال**، تحقيق: إبراهيم البعيمي (السعودية، الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٨) ص ٢٤٠.

(٣) المرجع السابق، المكان نفسه.

(٤) نلاحظ على هذا التعريف إخراجَ الآليات والغايات؛ لأنَّه ليس من صناعة التعريف أن يتضمّنهما، وإنما غاية التعريف هو تبيين ماهية الشيء؛ لأن الشيء قائم بذاته سواء تحققت غاياته أم لم تتحقق، وسواء اتفقنا على آليات الوصول إليه أم لم نتفق. ومن هنا يخطئ بعض الباحثين حين يُدخل غاية الشيء في تعريفه.

➢**النقطة الأولى:** أن عملية إدخال جميع المجالات المعرفية الغربية في موضوع **علم الاستغراب** أمرٌ مستحيل.

➢**النقطة الثانية:** أن الذي يهمنا في **علم الاستغراب** هو الإنتاج الفكري عند الغرب، وليس الإنتاج العلمي؛ لسببين:

➢**الأول**: أن الإنتاج العلمي لا خلاف في قبوله بين المسلمين، فليس ثمة مَن يرفض استعمال المنتجات المادية الغربية لكونها غربية، حتى "داعش" تستعمل بكل فخر أحدث المنتجات العلمية الغربية. أما الإنتاج الفكري الغربي فهو مناط الخلاف بين المسلمين، وهو الذي ساهم في إعادة تشكيل بعض عناصر المشهد الثقافي العام مما أدى إلى خلق اختلافات كبرى في الصف الإسلامي؛ ولذلك تعيّن التركيز عليه.

➢**الثاني**: إن البحث في المنتجات العلمية يحتاج إلى أدوات بحثية مغايرة تمامًا لأدوات البحث في المنجزات الفكرية، وهذا يعني أنه لم يعد صالحًا ليُطرح في أروقة العلوم الإنسانية. أما ما يتعلق بالآداب والفنون فهذه يُخرجها كلمة «علم» التي نصف بها الاستغراب؛ لأنه لا الآداب ولا الفنون يصدق عليها أنها علم.

إذن، نحن لا نطلب مطلق الغرب ولا نطلب الغرب مطلقًا، لا نطلب مطلق الغرب؛ لأننا لا نهتم إلا بإنتاج الغرب المؤثِّر، وليس كل الغربِ مؤثرًا كما سوف نعرف. ولا نطلب الغرب مطلقًا؛ لأننا لا نهتم بكل أشكال الإنتاج الغربي، وإنما بالإنتاج المعرفي النظري الذي يشكّل الفكر عمادًا له.(٥)

بعد أن انتهينا من تحديد تعريف **علم الاستغراب** نوضّح أنَّه تعريفٌ للبُنية النظرية فقط، ذلك أنَّ لعلم الاستغراب بُنيتين:

➢**بنية نظرية:** وهي الصرح المعرفي النظري الغربي الذي أُسّس منذ العهد الأثيني إلى العصر الحديث.

➢**بنية علمية:** تتناول البناء المعرفي الغربي المعاصر، سواء من حيث بُعدُهُ الواقعي أو بُعْدُه المعرفي. وفي البنية العملية يكون الموضوع أوسع وأشمل؛ فمن حيث الوعاء سيتسع مفهوم الغرب ليشمل جميع الدول الأوروبية والأمريكية، وليس قاصرًا على ست دول كما هو الحال في البنية النظرية. ومن حيث المعرفة سيتسع الأمر ليشمل جميع أنواع المعرفة وفروعها. وهذا أمر واسع جدًا، **والمقترح أن تكون هناك موسوعة خاصة في هذا الأمر.**

(٥) ليس خافيًا أن الحضارة الغربية كانت حضارة فكر قبل أن تكون حضارة علم.

ما الغرب؟

إذا كنا متفقين على أن موضوع **علم الاستغراب** هو الغرب، فإننا لسنا متفقين على تحديد المقصود بالغرب. هل نجعل المعيار جغرافيًا؟؛ أي كل من هو قابع في شمال الكرة الأرضية، فتدخل بذلك روسيا الاتحادية ودول أوروبا بأكملها وكندا والولايات المتحدة الأمريكية. أم نجعل المعيار ثقافيًا؟؛ مما يعني زيادة إسرائيل ونيوزيلندا وأستراليا إلى القائمة السابقة. أم نجعل المعيار دينيًا؟؛ وتلوًا تدخل جميع الدول التي تدين بالمسيحية وهي في القارات الخمس. أم نجعل المعيار اقتصاديًا؟؛ وتلوًا تدخل في ذلك كل الدول المتقدمة بحسب تصنيفات المنظمات الدولية.

هذا الخلاف لا يهمنا في هذا المقام؛ لأننا إذا عدنا إلى تعريف **علم الاستغراب** ـ من حيث بنيته النظرية ـ لا نجده مرتبطًا بالغرب من حيث هو غرب، بل من حيث هو كائن معرفي مؤثّر في غيره، أي أننا ندرس في هذا العلم الدول الغربية التي كان لها تأثير معرفي. وإذا ارتضينا هذا المعيار حداً فاصلاً؛ فإنَّ المقصود بالغرب يكون ستة دول أساسية: اليونان، إيطاليا، إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، الولايات المتحدة.

المقصود بالغرب ستة دول أساسية: اليونان، إيطاليا، إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، الولايات المتحدة.

هذه الدول ـ باستثناء الولايات المتحدة ـ دولٌ منتجة فكريًا، وهي مَن ساهم حصرًا في بناء الصرح المعرفي الغربي بنحوٍ أساسي، وإن كانت إسهامات هذه الدول لم تكن في زمنٍ واحد، فاليونان كانت أولاً بلا منازع، ثم إيطاليا طوال القرون الوسطى، ثم إنجلترا ثم فرنسا ثم ألمانيا[٦] في ترتيبٍ تقريبي أغلبي، وأخيرًا الولايات المتحدة، لكن ليس باعتبارها منتجًا بل مسوّقًا ومروجًا كما سنرى.

أما بقية الدول الغربية؛ فإنها لم تشارك في بناء الصرح المعرفي الغربي إلا لمامًا، فقد تجد فيلسوفًا هنا أو مفكرًا هناك وضع حجرًا في هذا البناء الضخم،[٧] لكنك لن تجد تيارات فلسفية أو نخبًا ثقافية ساهمت في بناء الصرح المعرفي الغربي إلا في تلك الدول.[٨]

---

(٦) شنَّ الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه هجومًا قاسيًا على ثقافة بلده، فهو يرى أنه ''حيثما ينتشر ما هو ألماني فإنها تفسد الثقافة''. ويرى''أنَّ العقل الألماني عسير الهضم ولا يستطيع أن يتمثّل شيئًا''. راجع: نيتشه، فريدريك، **هذا الإنسان**، ترجمة مجاهد عبدالمنعم (دمشق، دار نينوى، ط١، ٢٠١٤) ص٤٤، وص٣٥.

(٧) كما هو الحال مع الفيلسوف الهولندي مولدًا والإسباني أصولًا باروخ إسبينوزا .

(٨) سوف نتحدث لاحقًا عن طبيعة مساهمات هذه الدول.

هل اليونان من الغرب؟

رفض "صموئيل هنتغتون" إدخال اليونان في الحضارة الغربية، وذلك في إطار رفضه إدخال جميع الدول الأرثوذكسية، وقد جعل المؤرخ البريطاني "نيال فرغسون" اليونان مجرد «عضو فخري في الغرب، وذلك بالرغم من ولائها لاحقًا للمسيحية الأرثوذكسية».[٩] إذن هل نعدُّ اليونان من الغرب أم لا؟

لا تعارض في الحقيقة بين جعلنا اليونان جزءًا أساسيًا في الغرب ورفضِ صموئيل وفرغسون ذلك؛ لأنَّ جهتي النظر منفكة، فهم يتحدثون عن الغرب اليوم، عن الحضارة الغربية بوجهها الحضاري المعاصر، ونحن نتحدث عن الغرب من حيث هو موضوع **لعلم الاستغراب**، أي من حيث هو كيان معرفي مؤثر، ولا ينكر صموئيل ولا فرغسون ولا غيرهما أنَّ اليونان هي الأرضية المعرفية التي انطلق منها الغربُ، وأنها كانت مؤثرة بصورة أساسية في الحضارتين الغربية والإسلامية.

أما في الوقت الحاضر فنحن متفقون على فقدان اليونان راهنيتها، أي أننا نقول بصراحة: إن اليونان ليس لها أي قيمة معرفية مضافة في العصر الحديث، فهي جزءٌ من الماضي، ذلك الماضي السحيق الذي يفصلنا عنه أكثر من ألفي عام.

الولايات المتحدة مسوّق لا منتج

لم تُسهِم الولايات المتحدة قط في بناء الصرح المعرفي الغربي، والعلّة في ذلك أنها نشأت وتأسست بعد استقرار الصرح المعرفي الغربي. إضافةً إلى أنها حتى بعد أن نشأت وانتهت من مشاكلها الداخلية وحروبها الأهلية لم تستطع أن تقدّم إنتاجًا فكريًا مستقلاً عن نتاج الحضارة الأوروبية، فغدت محض امتداد فكري لتلك الدول، كما هي امتداد لأوروبا من حيث النسل البشري. ولقد أحسن "نيال فرغسون" حين جعل الولايات المتحدة «نتاجًا للحضارة الغربية»[١٠] وليست جزءًا من الحضارة نفسها.[١١]

---

(٩) فرغسون، نيال، **الحضارة**، ترجمة سعيد الحسنية (بيروت، شركة المطبوعات، ط١، ٢٠١٣) ص٥٤

(١٠) فرغسون، **الحضارة**، مرجع سابق، ص٥٥.

(١١) يقول الروسي بلاتونوف –المتخصص بالشؤون الأمريكية– عبارةً قاسية بحق الأمريكيين: ''إنَّ الأمريكيين من الناحية الثقافية؛ هم الشعب الأقل أهمية في العالم''. ويقول: ''الأمريكيون في أغلبهم شعب يجمع بينهم قاسم مشترك غريب، فكل قيم حياتهم تتركز على كسب النقود وسباق الاستهلاك''. راجع: بلاتونوف، ألغ، **لهذا كله سوف تنقرض أمريكا**، ترجمة نائلة موسى (دمشق، دار الحصاد، ط١، ٢٠٠٢) ص٥١

➤ لماذا نقول إن الولايات المتحدة لا تملك إنتاجًا فكريًا مستقلاً؟، إذا قلنا إن الفكر يتمثّل في منتجات ومناهج فكرية، فإنَّ شيئًا من ذلك لم يتجرأ عقلٌ أميركي على فعله استقلالاً. فإذا تأملنا المنتجات الفكرية التي تلوكها ألسنة المفكرين الأميركيين، نجدها كلها جاءت من أوروبا، ولا شيء وُلِد أصالةً من الرحم الأميركي. فالديمقراطية والرأسمالية والليبرالية والبراغماتية، وحتى النظريات السياسية مثل الفصل بين السلطات والسلام الديمقراطي؛ كل ذلك لم ينشأ في الولايات المتحدة حتى لو اشتهر لاحقًا بسببها. فالديمقراطية منتج أثيني، والليبرالية ووجهها الاقتصادي منتجان إنجليزيان، والبراغماتية_التي تلازمت مع الفلسفة الأميركية_ تعود جذورها إلى الإيطالي "مكيافيللي"، ونظرية السلام الديمقراطي تعود إلى "أمانويل كانت"، والفصل بين السلطات بدأت عند "أرسطو" الأثيني ومرّت "بجون لوك" الإنجليزي وانتهت عند "مونتسكيو" الفرنسي.

وإذا تأملنا المناهج الفكرية الغربية _سواء ما كان منها قبل الحداثة أو بعدها_ نجد كل ذلك ليس للعقل الأميركي فيه علاقة خلا علاقة المستهلك والمسوّق.

➤ والآن قد يسأل سائل: إذا كانت الولايات المتحدة دولة مستهلكة فكريًا وليست دولة منتجة، فلماذا نُدخلها ضمن **علم الاستغراب** الذي يدرس الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثّر؟.

الجواب يتمثّل في سببين أساسيين:

➤**الأول**: لأنَّ الولايات المتحدة؛ هي المسوّق الأبرز لمنتجات الفكر الغربي، وهي من تولّى فرض الأيديولوجيات الغربية على دول العالم، فصحيحٌ أن الديمقراطية منتجٌ أثيني وترعرع في بريطانيا، لكن مَن أشهر المسوّقين له في العالم، أليس الولايات المتحدة؟، من الذي خصص صندوقًا للوقف الديمقراطي منذ عام ١٩٨١ بمليارات الدولارات، أليس الولايات المتحدة؟، مَن الذي انتهك سيادات الدول ودمّرها بذريعة نشر الديمقراطية، أليست الولايات المتحدة؟.

➤**الثاني**: لأنَّ الولايات المتحدة؛ تعدُّ النموذج العملي الأبرز لكثيرٍ من النظريات الغربية، أي أنَّها جسّدت عمليًا ما تقرَّر نظريًا، فإذا أردنا أن نتحدث عن أبرز نموذج جسَّد النظرية الليبرالية الإنجليزية مولدًا فلن يتنازع اثنان في تعيّن الصيرورة إلى النموذج الأميركي. ولن نجد كذلك من ينازع في أنَّ الولايات المتحدة هي أبرز من جسّد نظرية الفصل بين السلطات الأثينية مولدًا والفرنسية مآلاً. وقل الشيء نفسه عن الرأسمالية والبراغماتية.

إذن ما مضى يبرهن لنا أنَّ ما يميّز الولايات المتحدة عن سواها؛ أنَّها بلا منازع البوابة السياسية الأكبر التي من خلالها يلج العالم إلى منتجات الفكر الغربي ومناهجه.

المبحث الثاني: هل الاستغراب علمٌ؟

ثمة خلافٌ قديمٌ حديثٌ حول مدى دقة وصف العلوم الاجتماعية والإنسانية بأنها «علم»؛ وهذا التشكيك في علميَّة العلوم الاجتماعية ناشئ عن مقارنته بالعلوم الطبيعية والتطبيقية التي تتسم قواعدها وقوانينها بالصرامة والدقة، وتتسم نظرياتها بالاستناد إلى الحس والتجربة؛ وهما من أبرز أدوات الوصول إلى العلم اليقيني.

والذي يبدو، أنَّ هذا الخلاف خلافٌ لفظي صوري وليس خلافًا حقيقيًا؛ لأنَّ مورد النزاع فيما يبدو ليس محررًا، ولذلك حتى نخرج من هذا السجال؛ لا بد أن يكون النقاش حول مسألة ثانية، وهي ما تعريفنا للعلم؟.

فمن يُعرّف العلم بما يستلزم الاستناد إلى التجربة والحس؛ فلن يصف سوى العلوم التطبيقية بأنها علم. ومن يعرّف العلم بأنه كل مادة معرفية لها موضوعٌ محدد، ولها قواعدها وأصولها ونظرياتها ومنظمة في صورة مباحث محددة، من يعرّفها بذلك لن يجد حرجًا في وصف العلوم الاجتماعية بأنها علم.

إذن هناك مساران أساسيان للعلوم:

- **المسار الأول**: **العلوم التطبيقية.**

- **المسار الثاني**: **العلوم الاجتماعية والإنسانية.**

و**علم الاستغراب** لا يندرج بطبيعة الحال ضمن العلوم التطبيقية، وإنما هو محسوبٌ على العلوم الاجتماعية والإنسانية. وإذا صحَّ لنا ذلك، فإنَّ السؤال عن مدى علميَّة الاستغراب يتوقّف على جواب السؤال الآتي: ما الذي يجعل العلوم الاجتماعية علومًا؟، بمعنى آخر: ما الذي أباح للسياسة أن تكون علمًا؟، وما الذي أباح لعلم الاجتماع أن يكون علمًا؟، وما الذي أباح للعلاقات الدولية أن تكون علمًا؟.

إذا نظرنا إلى هذه العلوم؛ فإننا لا نجدها تستند إلى حس ولا إلى تجربة، وإنما الذي جعل كلاً منها علمًا ثلاثة أمور:

➢**أولاً:** امتلاكها موضوعًا معرفيًا مستقلاً، وهذا أهم ما يميّز العلوم، لأنَّ العلوم لا تتميّز عن بعضها بالنظريات والأفكار، فهي كثيرًا ما تتداخل بين عدة علوم، وإنما تتمايز العلوم بتمايز موضوعاتها. يقول أبو حامد الغزالي: «لا شك في أنَّ لكل علم موضوعًا يُبحث فيه عن أحوال ذلك الموضوع».(١٢)

➢**ثانيا:** ترجمة الموضوع المعرفي إلى فصول ومباحث متنوّعة تغطّي جميع جوانب الموضوع. وهذا موضوع في غاية الأهمية؛ لأنَّه يحدد بوصلة العلم وقبلته، فالعلم الذي ليس له مباحث محددة يمكن لأي باحث أن يسير به ذات اليمين وذات الشمال. يقول الدكتور الجابري: «إنَّ التمييز بين موضوعات البحث الخاصة بكل علم؛ ضرورةٌ منهجية».(١٣)

➢**ثالثا:** امتلاكها نظريات ومدارس ومذاهب مختلفة في تفسير قضايا العلم. كما هو الحال في جميع أفرع العلوم الاجتماعية.

بعد توضيح ما مضى نسأل: هل يملك **علم الاستغراب** هذه المقوّمات التي تمنحه وصف العلم؟.

أما امتلاك موضوع معرفي مستقل؛ فهذا قد تحدثنا عنه سابقًا في مسألة تعريف **علم الاستغراب**، وهو الغرب من حيث هو كائن معرفي مؤثّر. أما مسألة امتلاك فصول ومباحث محددة؛ فكل الكتابات السابقة لم تُفِد شيئًا في هذا المجال ولم تعتنِ به. ولذلك نقول بوضوح: إن الاستغراب لم يصل إلى مرحلة العلم برغم كل المحاولات السابقة، فلا تُعرف إلى الآن موضوعاته ولا مباحثه ولا غاياته ولا مناهجه، كل ذلك ما زال غامضًا. علاوة على أن الإشكالية تزيد؛ إن علمنا أن المساهمة الأشهر في تأسيس **علم الاستغراب**ـ وهي مساهمة الدكتور حسن حنفيـ لم تزد **علم الاستغراب** إلا تيهًا وضياعًا، فقد صار موضوع **علم الاستغراب** غامضًا بسبب الغايات التي جعلها منوطةً به، كما أفقد **علم الاستغراب** قيمته؛ حين صوّره على أنه انتقامٌ حضاري من الغرب، فأخرجه بذلك من مسار العلم إلى مسار الخطابة الأيديولوجية. في هذا المقترح نحاول المساهمة في نقل قاطرة الاستغراب من مسار فوضوي إلى مسارٍ علمي واضح المعالم والمنطلقات والغايات.

الاستغراب لم يصل إلى مرحلة العلم برغم كل المحاولات السابقة، فلا تعرف إلى الآن موضوعاته ولا مباحثه ولا غاياته ولا مناهجه، كل ذلك ما زال غامضا

(١٢) الغزالي، أبو حامد، **مقاصد الفلاسفة**، تحقيق أحمد المزيدي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣) ص٦٣.

(١٣) الجابري، محمد عابد، **مدخل إلى فلسفة العلوم** (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٨، ٢٠١٤) ص١٩.

فيما يتعلق بمباحث **علم الاستغراب**؛ فقد قدَّمنا منهجًا مقترحًا لأبواب **علم الاستغراب** وفصوله ومباحثه، والرجاء أن يكون هذا المنهج كفيلاً بتجاوز هذه الخطوة. وإنني أدّعي أنَّ مباحث **علم الاستغراب** ــ كما هي موضّحة في هذا المقترح ــ أكثر وضوحًا وانضباطًا من مباحث علم العلاقات الدولية ومباحث علم الفلسفة ومباحث علم السياسة. فنحن إذا تصفحنا كتب العلاقات الدولية وقرأنا فهارسها فإننا لا نكاد نجد كتابين يتحدثان عن المباحث ذاتها،(١٤) ومع هذه الفوضى في تحديد مباحث علم العلاقات الدولية؛ فإنك لا تجد الكثيرين يتحرّجون من نعته بالعلم، وتدريسه في الجامعات على أنه علمٌ مستقل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فإذا كانت فوضوية مباحث العلاقات الدولية لم تقف عائقًا دون تمتّعه بوصف العلم، فمن باب أولى أن يفوز الاستغراب بوصف العلم؛ لانضباط مباحثه.

أما ما يتعلّق بالنظريات والمدارس؛ فهذه ليست مطلوبة في مرحلة تأسيس العلوم؛ بل هي لاحقة عليها بعد استقرارها. فالمنطق يقتضي أن يتحدد موضوع العلم ومباحثه، ثم بعد أن تتوارد عقولُ العلماء في بحث تلك المباحث؛ تنتج آليًا النظريات والمذاهب. ولذلك يمكن أن نقول: إن النظريات والمذاهب شرطٌ لكمال العلم ونضجه وليست شرطًا لتأسيس العلم ونشأته.

➢ الخلاصة، أنَّنا إذا أخذنا بالاعتبار وجود ذينك العنصرين ــ الموضوع وانضباط المباحث ــ فإنه يجوز لنا أن نصف الاستغراب بعد أن يحققهما بأنه علمٌ.

(١٤) وقد بيَّنتُ ذلك في مقدمة كتابي "**مقدمة في علم العلاقات الدولية**".

المبحث الثالث: غاية علم الاستغراب.

جرت العادة، أنَّ كل مشروع جديد يُطرح في سوق المعرفة تصيبه آفتان:

- **الآفة الأولى**: المبالغة والتضخيم لما يُتوقّع منه.
- **الآفة الثانية**: تقزيم أهداف المشروع وغاياته، وربما سلبها الجدوى والنفع.

علمُ الاستغراب ليس استثناءً من هذه السنّة، فقد وقع تقزيمٌ له من خلال الدعوى بأنه محض دراسات تاريخية وصفية؛ مما يعني أنه محض تكرار. لكنَّ هؤلاء المقللين من قيمة **علم الاستغراب** قليلون إذا ما قورنوا بالفريق الآخر، الذي بالغ جدًا في الحديث عن غايات **علم الاستغراب** إلى مستوى جعله عصا سحرية؛ ستحل جميع مشاكل الأمة الإسلامية وستقضي على هيمنة الحضارة الغربية. وعلى رأس هؤلاء الدكتور حسن حنفي الذي لا بد من الوقوف مليًا عند الغايات التي ذكرها كي ندرك وجه الإشكالية.

ذكر الدكتور حنفي عدة غايات **لعلم الاستغراب**، من أبرزها:

- "رد الغرب إلى حدوده الطبيعية، وإنهاء الغزو الثقافي، وإيقاف هذا المد الذي لا حدود له"
- "إكمال حركة التحرر الوطني على المستوى الثقافي والعلمي والحضاري والمعرفي".
- "مقابلة المشروع المعرفي الغربي بمشروع معرفي لا غربي، والتحول من علاقة المركز بالأطراف القديمة، التي سادت العصور الحديثة، إلى علاقة تبادلية بين أكفاء بلا مركز أو أطراف".
- "القضاء على أساطير الحضارة العالمية والمعلّم الأبدي والمركز الدائم ونهاية التاريخ وصراع الحضارات والعولمة والنموذج الآري والمعيار المزدوج والتفوّق والعنصرية والهيمنة والسيطرة والسيادة والغزو الثقافي".(١٥)

نلاحظ هنا، أن الدكتور حنفي خرج **بعلم الاستغراب** عن مساره تمامًا؛ إذ جعل غايته كل ما مضى. لا يمكن **لعلم الاستغراب** أن يكون مسؤولاً عن التحرر الثقافي والعلمي والحضاري والمعرفي، ولا يمكن له أن تكون مهمته مجابهة المشروع الغربي، أو أن يحوّل الغرب من قمّة المركزية إلى الندية المتبادلة المتكافئة، هذه كلها ليست من مسؤولية **علم الاستغراب**، بل ولا هو قادرٌ عليها أصلاً.

---

(١٥) حنفي، حسن، **ماذا يعني علم الاستغراب** (بيروت، دار الهادي، ط٢، ٢٠٠٥)) ص٧٣، ص٥٠، ص٥٧.

إنَّ الذي يمكنه أن يحررنا ثقافيًا؛ هو أن نمتلك مشروعًا حضاريًا متكاملاً يوازي المشروع الحضاري الآخر. ولا يمكن لعلم أو علمين أو ثلاثة تشكيلُ جبهةٍ تواجه الحضارات الأخرى، فالغايات التي ذكرها الدكتور حنفي هي غاياتٌ لحضارة تامّة، وليس لعلمٍ له موضوعه المحدد، ولا يمكن لأي علم أن تُناط به هذه الغايات. **علمُ الاستغراب** لن يتغيَّا حلَّ مشاكلنا السياسية، ولا مشاكلنا الاقتصادية، ولا مشاكلنا الاجتماعية ولا مشاكلنا الدينية، فليس مطلوبًا من **علم الاستغراب** أن تكون هذه غاياته؛ لأنه بكل وضوح غير قادر على ذلك.

إنَّ الذي يمكنه أن يحررنا ثقافيا هو أن نمتلك مشروعا حضاريا متكاملاً يوازي المشروع الحضاري الآخر

علم الاستغراب لن يلغي هيمنة الحضارة الغربية؛ لأنه لا يلغي هيمنة الحضارة إلا حضارةٌ موازية، و**علم الاستغراب** ليس حضارةً. هل يمكن لعلم الاقتصاد أو لعلم السياسة أو لعلم الطب أو لعلم الفيزياء أو لعلم الفلك أو لعلم الهندسة، هل يمكن لأيٍّ من هذه العلوم أن تكون آلية لإلغاء هيمنة أي حضارة في العالم؟.

وحين يقول الدكتور حنفي: إن «مهمة **علم الاستغراب**؛ هي إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي».(١٦) نجد أن الأمر غير منطقي؛ لأنه إذا كان وجود **علم الاستغراب** يعيد التوازن للثقافة الإنسانية، فإن ذلك يستلزم أن الاستشراق هو الذي أخل بالتوازن، وهذا غير صحيح. الذي أخل بالتوازن؛ هو تقدّم الغرب في مناهج المعرفة ومنتجاتها وتطوّر بنيتها المعرفية بصورة عامة، فإذا أردنا أن نعيد التوازن؛ فيجب أن يكون ذلك من خلال الدخول في السباق المعرفي مع الغرب وليس من خلال **علم الاستغراب** وحده.

إنَّ الجدل حول تحديد غاية **علم الاستغراب** لن يكون مقصورًا على الجانب النظري، بل سينعكس بالضرورة على الجانب العملي؛ لأنَّ الحديث عن غاية **علم الاستغراب** سينعكس بالضرورة على موضوعه، إذ إنَّ موضوع العلم يتحدد من خلال غايته، فإذا كانت غايةُ علم الطب هو صيانة البدن؛ فإنَّ موضوعَ علم الطب سيكون مرتبطًا بالبدن. وإذا كانت غاية علم المنطق صون العقل؛ فسيكون موضوعه مرتبطًا بالعقل. وإذا كانت غاية علم الفقه تبيينَ أحكام التكليف؛ فإنَّ موضوع علم الفقه سيكون مقصورًا على أفعال المكلّفين التي تعدُّ متعلقاتٍ لأحكام التكليف.

علم الاستغراب لن يلغي هيمنة الحضارة الغربية؛ لأنه لا يلغي هيمنة الحضارة إلا حضارةٌ موازية، وعلم الاستغراب ليس حضارةً

(١٦) المرجع السابق، ص٥٩.

إذا اتفقنا على أن غاية العلم تحدد موضوعه، فما عساه أن يكون موضوع **علم الاستغراب** إذا كانت غايته «إلغاء هيمنة الحضارة الغربية» و «إكمال حركة التحرر الوطني» ونحو ذلك مما ذكره الدكتور حنفي؟، لا يمكن أن يكون لتلك الغايات موضوع واحد، بل مجموعة موضوعات قد لا ترتبط فيما بينها بأرضية معرفية مشتركة، بل قد لا تكون جميعها مؤطرة بإطار علمي.

إذن، الخلل واضحٌ في طرح الدكتور حنفي، وهو خللٌ مركّب وليس بسيطًا، أي أنه ليس مقصورًا على مسألة تضخيم غايات **علم الاستغراب** وإرغامه على أن يقوم بوظيفة الحضارة بدلاً من وظيفة العلم، بل هو خللٌ ممتدٌ إلى موضوع العلم نفسه، **مما يعني مآلاً؛ أنَّ الارتضاء بأطروحة الدكتور حنفي لا يعني سوى الارتضاء بانحراف علم الاستغراب عن مساره المنطقي إلى مسارٍ لا قبلةَ له.**

الآن بعد نقد الغايات التي ذكرها الدكتور حنفي، نطرح السؤال الآتي: ما الغايات التي يمكن أن نجعلها منوطةً **بعلم الاستغراب**؟.

نقول إنَّ لعلم الاستغراب ست غايات مشروعة:

- الغاية الأولى: تطوير الإنتاج المعرفي الإسلامي، من خلال إعادة توظيف الإنتاج الفكري الغربي المناسب.
- الغاية الثانية: المساهمة في تصحيح مسار الفكر الغربي، من خلال التلاقح الفكري.
- الغاية الثالثة: إعادة تقييم عملية استيراد الإنتاج المعرفي الغربي في المعرفة الإسلامية.
- الغاية الرابعة: تمكين المسلم من الاطلاع على الحضارة الغربية وإسقاط الحواجز المعرفية التي تحول بين تينك الحضارتين.
- الغاية الخامسة: نقل التعاطي مع الغرب من حالة المثاقفة العفوية والعشوائية إلى حالة المثاقفة المنظمّة.(١٧)
- الغاية السادسة: نقل الوعي الإسلامي من حالة الامتداد إلى حالة الاستقلال.

هذه هي الغايات الست التي تبدو لي الآن، وإذا تأملناها جميعًا نجد أنها تعود إلى غايتين كليّتين: **الإفادة والاستفادة**. وسوف نتعرَّض لهذه الغايات على نحو مختصر:

(١٧) يقسّم علماء الاجتماع المثاقفة إلى ثلاثة أقسام: مثاقفة عفوية ومثاقفة منظمة، ومثاقفة مخططة، راجع: دوني كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** (دمشق، دار رسلان، ط، ٢٠١١) ص٧١. ونحن هنا لا نستعمل المثاقفة المنظمة بنفس مدلولها في علم الاجتماع، وإنما بمعنى المخططة.

الغاية الأولى: تطوير الإنتاج المعرفي الإسلامي، من خلال إعادة توظيف النتاج الفكري الغربي المناسب.

لا تدّعي الأمة الإسلامية أنها تعيش حالة من الاكتفاء الثقافي، ولا توجد منظومة فكرية يمكنها أن تدّعي ذلك، فكلُّ منظومة يعتريها النقص، إما أصالةً أو عرضًا، فهي بحاجة دائمة للاستيراد المعرفي. وقد أمرنا الله ﷻ بأن نستمع القول فنتبع أحسنه ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ (الزمر: ١٨). وفي **علم الاستغراب** نريد أن نستمع إلى ما لدى الغرب لنتبّع أحسنه، ونتجنّب ما عداه. والمنهج النبوي قائم على استيراد المعرفة حيث كانت وممن كانت، فقد جعل كافرًا من كفار قريش دليلاً له في طريق هجرته حين كان مطاردًا من قريش، وأي شيء أشد خطرًا من التعويل على أحد في مثل هذه المسألة، كما قال ابن القيم؟، وحين كانت الأمية منتشرة بين الصحابة ﷺ جعلهم النبي ﷺ تلاميذ عند الكفار ليتعلموا القراءة والكتابة،(١٨) **فلم يكن التباين الديني مانعًا من المعرفة الحقَّة**، كما يريد ذلك جهّالُ المسلمين اليوم. وقد عبّر عن هذا المنهج الفيلسوف المسلم ابن رشد حين كان يتحدث عن منهج التعاطي مع تراث الآخر المتمثّل آنذاك بكتب الفلاسفة اليونانيين: «يجب علينا أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم: فما كان منها موافقًا للحق؛ قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق؛ نبّهنا عليه وحذّرنا منه وعذرناهم».(١٩)

> في علم الاستغراب نريد أن نستمع إلى ما لدى الغرب لنتبّع أحسنه، ونتجنّب ما عداه

وهذا هو ما ينسجم مع المنهج الإلهي، فالله ﷻ قد أمرنا بألا تحملنا كراهة قومٍ على ألا نعدل معهم ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (المائدة:٨)، ومن العدالة مع الآخر ألا ترفض كل ما لديه، بل تعمل على التمييز بين صحيح ما لديه من باطله؛ فتقبل الأول وترفض الآخر، فمن السذاجة أن تجعل أخطاء الآخرين حواجز تحول بينك وبين ما لديهم من فوائد. كما قال ابن عقيل الحنبلي: «من أكبر ما يفوت الفوائد؛ ترك التلمّح للمعاني الصادرة عمَّن ليس بمحل للحكمة، أترى يمنعني من أخذ اللؤلؤة وجداني لها في مزبلة؟».(٢٠)

---

(١٨) عن ابن عباس قال: "كان ناس من الأسرى يوم بدر، لم يكن لهم فداءٌ، فجعل رسول الله ﷺ فداءَهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابةَ". أخرجه الإمام أحمد وصحح إسناده محقق المسند الشيخ أحمد شاكر. راجع: ابن حنبل، أحمد، **المسند**، تحقيق: أحمد شاكر (القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٩٩٥) ج٣، ص٢٠.

(١٩) ابن رشد، محمد بن أحمد، **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، تقديم الدكتور محمد الجابري (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٥، ٢٠١١) ص٩٣.

(٢٠) نقلًا عن: ابن مفلح، محمد، **الآداب الشرعية والحكم المرعية** (بيروت، عالم الكتب) ج٢، ص١١٢.

وقد عاب تقيُّ الدين ابنُ تيمية على المتكلمين؛ أنَّهم حين شنّوا حربًا ضد منتجات الفلاسفة لم يميزوا بين ما هو صحيح وما هو باطل، بل جعلوا جميع ما لدى الفلاسفة في سلة واحدة. وهذا أمر يعدُّه ابن تيمية «من بدع المتكلمين»؛ وأنَّ الواجب يتجسَّد في قبول الصحيح في ذاته من إنتاج الفلاسفة؛ لأنَّ «كل ما عُلِم بالعقل الصريح فلا يوجد عن الرسول إلا ما يوافقه ويصدقه».(٢١)

الغاية الثانية: المساهمة في تصحيح مسار الفكر الغربي، من خلال التلاقح الفكري.

الحضارة الغربية ليست منظومة صلبة من الصواب، بل فيها من نقاط الضعف ما جعل بعض أهلها يفقدون الثقة فيها، ويتنبؤون بمصيرها إلى الانحلال والانحطاط. فمؤرخ الحضارات البريطاني "نيال فرغسون" يقول عن الحضارة الغربية: «الحضارة الغربية كما يبدو قد فقدت ثقتها بنفسها» ونتيجةً لفقدان الثقة بهذه الذات الحضارية فقد «بدأت سلسلة من الجامعات الهامة بالامتناع عن تقديم دورة دراسية عن تاريخ الحضارة الغربية، وبدأت المدارس بالتخلي عن سرد قصة صعود الغرب العظيمة أمام طلابها».(٢٢) كما ذكر أن الحرب العالمية الأولى تعدُّ «أولى العلامات التي تؤشر على أنَّ الغرب يحمل في داخله بذور خرابه».(٢٣)

بل إن هناك من يرى أنَّ ملامح إدبارها باديةٌ، فالمؤرخ والفيلسوف "ألبرت أشفتيسر" يقول قبل نحو مئة عام: « نحن نعيش اليوم في ظل انهيار الحضارة، وهذا الوضع ليس نتيجة الحرب، وإنما الحرب مجرد مظهر من مظاهره».(٢٤)

إذن، ثمة اعتراف من داخل المنظومة أنها لا تسير على ما يرام، بل إنها في طريقها إلى الانهيار، وهذا ما يزيد من قيمة النقد الخارجي الذي سوف يمارسه **علم الاستغراب**.

---

(٢١) ابن تيمية، **الرد على المنطقيين** (بيروت، دار المعرفة، ط١، د.ت) ص٢٦٠.

(٢٢) فرغسون، **الحضارة**، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢٣) المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٢٤) أشفتيسر، ألبرت، **فلسفة الحضارة**، ترجمة عبدالرحمن بدوي (القاهرة، دار الأندلس، د.ت، د.ط) ص١١

في **علم الاستغراب**؛ لا نكتفي بدور التلميذ فحسب، بل نمارس دور الأستاذية كذلك، وذلك من خلال الممارسة النقدية للإنتاج الفكري الغربي. لكننا لا نمارس النقد لأجل النقد واستخراج العيوب في الذات الغربية والتشفّي والتباهي بذلك، فتلك أخلاقٌ لا تليق بأمة الإسلام، بل نحن مطالبون بأن نبحث عن الأحسن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾، والوصول إلى الأحسن؛ يستلزم إعمال النقد في ما أنتجه العقل الإنساني ــ والغربي ومنه ــ نقدًا علميًا، لتمييز السيء من الحسن، والحسن من الأحسن.

في علم الاستغراب لا نكتفي بدور التلميذ فحسب، بل نمارس دور الأستاذية كذلك

ولما كان المسلمون يمتلكون أدواتهم النقدية ومناهجهم الفكرية، فإن سهامًا كثيرة من النقد ستوجّه للفكر الغربي بكل مكوّناته من مصادر ومناهج ومنتجات.

➢الغاية الثالثة: إعادة تقييم عملية استيراد النتاج المعرفي الغربي في المعرفة الإسلامية.

يقول "توماس إليوت": «إن التاريخ يحكم على الشعوب تبعًا لما أضافته إلى ثقافة الشعوب الأخرى النامية معها في نفس الوقت، وتبعًا لما أضافته إلى الثقافات التي تقوم فيها بعدُ».(٢٥)

وبناءً على ذلك؛ فإننا نحتاج أن نعرف ماذا أضافت لنا الثقافة الغربية حين استوردنا شيئًا من عناصرها، سواء في نهضتها الأولى في العصر اليوناني أو في العصر الحديث. فقد استورد المسلمون شيئًا من الإنتاج الغربي مرتين في التاريخ الإسلامي:

(٢٥) توماس إليوس، **ملاحظات نحو تعريف الثقافة**، ترجمة شكري عياد (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٠) ص٦١

➢ **المرحلة الأولى**: في زمن الترجمة، وفي هذا المرة كان الاستيراد مقصورًا في الغالب على منتجات الفلسفة اليونانية، وهي تتمثل في ستة أقسام أساسية: الإلهيات، والطبيعيات، والرياضيات، والمنطق، والسياسة، والأخلاق.

وقد قام علماء الإسلام آنذاك بوظيفة إعادة تقييم هذه العناصر الثقافية الداخلة في إطارهم الثقافي، ولم يكتفوا باستقبالها وإدراجها في العقل الذاتي دون أن تمر على قنطرة النقد والتحليل. ومن أبرز مَن قام بهذه الوظيفة الإمام أبو حامد الغزالي، الذي درس تلك العلوم الأربعة، ثم بعد عملية تقويمية لها؛ وصل إلى أنَّ منها ما يُقبل كاملاً، ومنها ما يُرفض كاملاً، ومنها يُقبل بعضه دون الآخر. أما الرياضيات فقبلها كاملةً؛ لأنَّه «ليس في مقتضيات الحساب ما يخالف العقل والحق، ولا هي مما ممكن أن يُقابل بإنكار وجحد».(٢٦) أما الإلهيات فقد رأى أبو حامد أنَّ «أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق، والصواب فيها نادر»، والعكس تمامًا ينطبق على المنطق الذي «أكثره على منهج الصواب، والخطأ نادر فيه».(٢٧)

أما قسم الطبيعيات؛ فلم يستطع الغزالي الحكم عليه بحكم مطلق كما فعل مع الأقسام الأخرى، والعلة في ذلك أنَّ «الحق فيها مشوبٌ بالباطل، والصواب فيها مشتبه بالخطأ، لا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب».(٢٨)

ثم ناقش الغزالي كل هذه الأحكام بالتفصيل في كتابيه «مقاصد الفلاسفة» الذي كان مخصصًا للجانب التصويري، و«تهافت الفلاسفة» الذي انتقل فيه إلى الجانب التقييمي.

➢ **المرحلة الثانية**: منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، وفي هذا المرة كان النتاج متنوعًا، فقد استورد المسلمون كل شيء من كل شيء. ونتج عن ذلك أن استقرّ في منظومتنا الثقافية العديد من المنتجات السياسية كالديمقراطية، والمنتجات الأيديولوجية كالماركسية، والمنتجات الاقتصادية كالمصارف وشركات التأمين التي صارت جزءًا من الفقه الإسلامي، بالإضافة إلى أنَّنا استوردنا علومًا بأكملها من الغرب، فعلوم العلاقات الدولية والسياسة والاجتماع وعلم النفس كلها لا تدرّس في جامعاتنا باعتبارها منتجًا محليًا، بل باعتبارها صراحةً منتجًا مستوردًا من منظومة ثقافية أخرى مباينة تمام المباينة لمنظومتنا الثقافية.

---

(٢٦) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، **مقاصد الفلاسفة**، تحقيق: أحمد المزيدي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ص٢٠٠٣) ص٩.

(٢٧) المرجع السابق، المكان نفسه.

(٢٨) المرجع السابق، ص١٠.

وإذا كان الغزالي حاول وحده أن يتصدّى للمنتجات المستوردة آنذاك ويقوم بإعادة تقييمها وغربلتها، فإنَّ هذا الأمر لا يمكن أن يقوم به في عصرنا إلا عمل مؤسسي جماعي يضمُّ جيوشًا من الباحثين؛ لأنَّ الرقعة قد اتسعت، والسوق غارقة بالبضاعة الأجنبية، فلم يعد الأمر قاصرًا على علم المنطق والإلهيات والطبيعيات والرياضيات، بل صار شاملاً كل شيء.

علم الاستغراب يهدف إلى تقييم تلكم المنتجات التي استوردناها من الغرب

علم الاستغراب يهدف إلى أن يكون إطارًا لهذه الغاية والمهمة، فيعيد تقييم تلك المنتجات التي استوردناها، سواء من حيث أصل الاستيراد أو من حيث عرضيَّة التوظيف. فالثقافات يحصل لها مع مرور الزمن تبدّل لبعض عناصرها سواء أشعر أربابها أم لم يشعروا.

الغاية الرابعة: إسقاط الحواجز المعرفية التي تحول بين الحضارتين.

لا يزال كثيرٌ من المسلمين يتوجّسون خيفةً من نتاج العقل الغربي، لا يثقون بمنطلقاته الفكرية، ولا بغاياته التوظيفية، فمنطلقات الأفكار ناشئة إما عن دين باطل أو عن إلحادٍ متستّر، وغايات الأفكار تصبُّ غالبًا في نهر إبطال الحق وإحقاق الباطل.

وهذا الأمر يجده المرء واقعًا معيشًا وليس محض ضربٍ من خيال، فحين أذكر فكرة أو كلامًا لأحد المفكرين الغربيين؛ تجد هناك من ينظر إلى الكلام بادئ ذي بدء على أنه مريب ومشكوكٌ فيه، أي أن الأصل بطلانه حتى يثبت العكس، وهذا العكس إن ثبت له عقلاً فإنه لا يثبت له قلبًا.

إننا نحتاج هنا أن نؤدي الدور الذي أداه الأستاذ السنهوري، حين وفَّق بين القانون والشريعة بكل سلاسة وهدوء قاطعًا بذلك السبيل أمام كل التشغيبات الوهمية. لكن ما سهّل الأمر للأستاذ السنهوري أنه بدأ الصوابَ قبل أن يبدأ الخطأ، ونحن هنا نبدأ بعد بدء الخطأ واستقراره في الطرفين. ذلك أنَّ التصوّرات المستقرة في العقل الإسلامي حول منطلقات المنتجات الفكرية الغربية وغاياتها؛ حصل لها الكثير من التشويش بسبب عدم موضوعيّة الناقل العربي. و**علم الاستغراب** مطالبٌ بأن يزيل الحواجز الوهميّة الناشئة عن ذلك التشويش، من خلال نقل منتجات الفكر الغربي كما هي، أي كما وردت عند مؤسسيها، وتحديد غاياتها كما حددها مؤسسوها، لا أن نقوّلها ما لم تقل، ولا أن نجعلها كما نريد بل كما كانت.

والمتوقّع من إزالة الحواجز المعرفيَّة؛ أن يطّلع المسلمُ على مواطن القوّة والضعف في الحضارة الغربيَّة كما هي، فلا يقع في إشكاليتيْ التقزيم والتضخيم. ذلك أنَّ الغرب مر بتحوّلات وأنتج أفكارًا، وتلك التحوّلات تعدُّ كبرى عند قوم ولا تعدُّ كذلك عند آخرين، كما أنَّ تلك الأفكار تعتريها المشكلة ذاتها بين مؤيديها ومناوئيها، وهذا كلُّه بسبب غياب المعيار الموضوعي في تقييم الآخر.

الغاية الخامسة: نقل التعاطي مع الغرب من حالة المثاقفة العشوائية إلى حالة المثاقفة المنظمّة.(٢٩)

على الرغم من أنَّ قضية المثاقفة من القضايا المهمة ذات التأثير المباشر في صناعة العقول، فإننا في العالم الإسلامي لم نلتفت لها جيدًا، ولم نعطها حقَّها الذي تستحقه.

المثاقفة: هي عملية التفاعل الثقافي بين ثقافتين مختلفين نتيجة الاحتكاك المستمر بينهما، وهذه العملية من أعقد وأخطر العمليات التي تعتري الثقافات، وهي قادرة على تفكيك عناصر الثقافات وإقحام عناصر أخرى دون شعور لدى العقل الجمعي لا بالخروج ولا بالدخول.

حتى تثمر شجرة المثاقفة؛ لا بد أن تكون قائمة على الأخذ والإعطاء، أي أنَّ كلا من الثقافتين تأخذ من الثقافة الأخرى وتعطيها، أما إذا كانت إحدى الثقافتين تمارس دور الآخذ فقط؛ فإننا في هذه الحالة أمام **ثقافة مهيمنة** وليس **مثاقفة منظمة**، بحيث تكون عناصر الثقافة المهيمنة متغلغلة في الثقافة الآخذة.

الآن نريد نحن المسلمين أن ندرس الغرب، فهل نحن أمام حالة مثاقفة متوازنة أم حالة ثقافة مهيمنة؟.

(٢٩) يقسّم علماء الاجتماع المثاقفة إلى ثلاثة أقسام: مثاقفة عفوية ومثاقفة منظمة، ومثاقفة مخططة، راجع: **دوني كوش**، ص٧١ ونحن لا هنا نستعمل المثاقفة المنظمة بنفس مدلولها في علم الاجتماع، وإنما بمعنى المخططة.

ربما المتبادر إلى ذهن الإنسان المسلم أنَّنا أمام حالة ثقافة مهيمنة، لكن هذا ليس دقيقًا ولا يصح أن يكون جوابًا مطلقًا. وبيان ذلك أن نقول: إنَّ أيًا من الثقافتين لم يمارس دورًا واحدًا طوال تاريخه، فلم تكن الثقافة الغربية تمارس دور المعطي دائمًا، ولم تكن الثقافة الإسلامية تمارس دور الآخذ دائمًا، بل كان الأمر سجالاً، دهرًا نكون فيه آخذين وآخر نكون فيه معطين.(٣٠) وقد تم التبادل في محاور أساسية سوف نتعرَّض لها في كتاب «مقدمة في **علم الاستغراب**» عند الحديث عن مبحث المثاقفة.

غاية علم الاستغراب أن ينقل حالة المثاقفة الحالية من مثاقفة عشوائية إلى مثاقفة مخططة ومؤصلة

هذا كله يجب أن يتوقف وينتهي عند البدء **بعلم الاستغراب**، ولذلك نقول: إنَّ غاية **علم الاستغراب** أن ينقل حالة المثاقفة الحالية من مثاقفة عشوائية لا إطار ولا منهج لها إلى مثاقفة مخططة ومؤصّلة على حد تعبير علماء الاجتماع.

➢الغاية السادسة: نقل الوعي الإسلامي من حالة الامتداد إلى حالة الاستقلال

هذه الغاية تشكّل ثمرةً ونتيجةً للغاية السابقة، وإنما أفردتُها بالذكر لأهميتها ومحوريّتها في التعاطي الحضاري بين الأمم.

قبل نحو ثلاثة عشر قرنًا، في أول احتكاك معرفي مكثف مع الحضارة الغربية، حين زار الكائن المعرفي الغربي ــ المتمثّل في الفلسفة اليونانية وامتداداتها ــ العالمَ الإسلامي؛ لم يجد ترحيبًا من التيار العام في المشهد العلمي، بل طُرد شرّ طردة، وحُذّر منه أشد التحذير. لكنه مع هذا الطرد والتحذير لم يغادر العالم الإسلامي، بل بقي ضيفًا ثقيلاً تحوم حوله الشكوك والشبهات، لم يهتم كثيرًا لطرد الفقهاء والمتكلمين والمحدثين له؛ فقد وجد عند الفلاسفة المسلمين استضافةً لا يحلم بها.

والحق أنَّه كان ضيفًا في بدء الأمر، لكنَّ الأمور ما لبثت حتى استحال الضيفُ إلى مضيف، وصار العقلُ الفلسفي الإسلاميُّ حاشيةً على متن العقل اليوناني، وفرعًا من أصله، وجدولاً من نهره، وهنا وُلِد الإشكال.

(٣٠) على سبيل التمثيل، تجد الرشديين في القرون الوسطى خصومًا لأتباع أوغسطين، وتلاميذ لابن رشد، وابن رشد بدوره كان تلميذًا لأرسطو. وفي المقابل أتباع أوغسطين هم في الحقيقة امتداد لكتابات ابن سينا والفارابي، وهما في المقابل كانا امتدادًا للأفلاطونية المحدثة.

إننا نقول بصوتٍ عالٍ: استطاع الفكر اليوناني أن يسلب الوعي الحضاري الذاتي عند الفلاسفة المسلمين، فمهما حاول الكثير الادعاءَ بأن فلاسفتنا مستقلون فعلاً عن الدائرة الأثينية، فإنَّ واقع مؤلفاتهم يدلُّ على أنَّ وعيهم الفلسفي كان امتدادًا للوعي الفلسفي الغربي.

لستُ أتحدث عن رأي للفارابي هنا أو رأي لابن رشد هناك، نعم قد تجد تفرّدات للفلاسفة المسلمين وتوظيفات في السياق الإسلامي، وقد تجد إسقاطات للمنجزات المعرفية اليونانية على الواقع الإسلامي، لكن من حيث الوعي الكلّي؛ فإن العقل الفلسفي الإسلامي كان دائرًا تمامًا مع العقل الأثيني، فالقضايا التي يثيرها هي قضايا اليونان، والإشكالات التي يثيرها هي إشكالات اليونان، بل والحلول والمقاربات للمسائل الفلسفية

كانت مقاربات أثينية. إنني أدّعي هنا أنه لا يوجد فيلسوف مسلم ــ لا الكندي ولا الفارابي ولا ابن سينا ولا ابن مسكويه ولا ابن باجه ولا ابن طفيل ولا ابن رشد ــ حاول أن يخلق مقاربة نابعة من نظامه المعرفي الذاتي للموضوعات الفلسفية، لا سيما الموضوع السياسي الذي كان المناط الأكثر إمكانية لإيجاد مقاربة له من النظام المعرفي الإسلامي. لم توجد مقاربات فلسفية للموضوعات الدينية المشتركة ولا مقاربات دينية للموضوعات الفلسفية، فماذا استفدنا إذن؟.

إنَّ الاستثناء الوحيد ــ وهو استثناء منقطع لأنه ليس من السلك الفلسفي ــ كان الإمام أبا حامد الغزالي، فلم ينجح التراث اليوناني في سلب وعيه الحضاري، بل استطاع التعامل بنديّة حضارية معه، أخذ ما أخذ وترك ما ترك، بناءً على ما يقتضيه نظامه المعرفي الإسلامي.

إذن، يمكننا أن نقول: إنَّ الغزو اليوناني السابق؛ سلب الوعي الحضاري الذاتي عند جمهور الفلاسفة المسلمين،[٣١] **والسؤال هنا: هل الأمر نفسه يتكرر في العصر الحديث؟**

(٣١) وقد يكونون معذورين في ذلك، فالعقل غالبًا ما يخضع تحت سلطة الجديد، لا سيما إن كان هذا الجديد يخلق تفرّدًا للمرء في بيئته المعرفية.

إنَّ الوضع اليوم أشد تعقيدًا عما كان عليه في السابق، ففي السابق كان التراث الغربي حصرًا على التيار الفلسفي فقط،(٣٢) وأما اليوم فجميع شرائح المشهد العلمي فتحت أبوابها للمنتجات المعرفية الغربية، بما في ذلك علماء الشريعة الذين اتخذوا موقف الرفض شبه المطلق في السابق. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لم يستعمل الغزو المعرفي الأول الذي استهدف العالم الإسلامي من الأسلحة سوى ما أنتجته الترسانة اليونانية، لكننا اليوم نعيش تحت قصف كثيف وعشوائي من جميع أصناف الترسانة الغربية، بدءًا من الأفكار وانتهاءً بالمأكل والمشرب والملبس، هذا القصف الذي جعل كثيرًا منا يفقد وعيه الذاتي، ويفكّر من خلال وعي «الآخر».

من غايات علم الاستغراب أن يجعل العقل المسلم يستحضر وعيه الحضاري الذاتي حين يفكّر في قضاياه، وألا يكون امتدادا للوعي الغربي

ماذا يعني أن يتحاور المسلمون اليوم في الحداثة وما بعد الحداثة وأيهما أصلح لمجتمعاتنا؟، منذ متى مررنا نحن في العالم الإسلامي بأجواء الحداثة فضلاً عن أجواء ما بعد الحداثة؟. إن وعينا الإسلامي لم يمر بهذه المراحل الفكرية، فليس ثمة قرون وسطى في الإسلام، ولا نهضة ولا تنوير ولا حداثة ولا ما بعد حداثة، هذه كلها محطات تنقَّل بينها القطارُ المعرفي الغربي ولا علاقة لنا بها، لكن وعي المسلم ذاب وانصهر في وعي الإنسان الغربي؛ حتى صار المسلم يفكّر من منطلقات الإنسان الغربي،(٣٣) ويحار كما يحار الغربي في تبنّي تلك الخيارات الفكرية المطروحة في سوق المعرفة الغربية.

إنَّ من غايات **علم الاستغراب**؛ أن يجعل العقل المسلم يستحضر وعيه الحضاري الذاتي حين يفكّر في قضاياه، أن يضع حدًا فاصلاً بين الوعيين، وألا يكون الوعي المسلم امتدادًا للوعي الغربي مهما تضخّم وتعاظم، فالحضارة الأوربية في نهاية المطاف «ليست هي مركز العالم ولا هي مرآة الخير الأسمى» على حد تعبير "روسي بيير".(٣٤)

---

(٣٢) كان عدد المنتسبين للتيار الفلسفي كثيرًا من حيث هو، وإن كان قليلًا مقارنةً بالمشهد العلمي العام، فقد كان الذين يحضرون دروس أبي نصر الفارابي بالمئات، وهذا الرقم يعدُّ كبيرًا من حيث هو، لكن إذا ما عقدنا مقارنة بينه وبين عدد الطلبة الذين يحضرون في العلوم الأخرى؛ لوجدنا أن البون شاسع. فالفكرة؛ أن التيار الفلسفي أو الشباب المهتم للشأن الفلسفي لم يكونوا قلةً.

(٣٣) خذ مثلًا، أن الذين دبروا الانقلاب في تركيا عام ١٩٩٧ أطلقوا عليه ''ثورة ما بعد الحداثة''، كأنَّ الأتراك مروا بثورات القرون الوسطى والحداثة والآن وصلوا إلى ما بعد الحداثة !

(٣٤) روسي، بيير، **تاريخ العرب الصحيح**، ترجمة: مولود طياب (الجزائر، موفر للنشر، ط١، ٢٠٠٧) ص١٠.

المبحث الرابع: علم الاستغراب وسؤال المنهج

حين ندرسُ الغربَ من حيث هو كائن معرفي؛ فإننا نحتاج إلى أربعة مناهج:

- المنهج الوصفي
- المنهج التحليلي
- المنهج النقدي
- المنهج المقارن

نحتاج **المنهج الوصفي** في وصف البُنى المعرفية الغربية كما هي عند أصحابها، أي بلا وساطة معرفية لا غربية ولا عربية، وهذا يستلزم الحيادية التي تعني الاقتصار على الجانب التصويري دون الجانب التقييمي. ونحتاج إلى **المنهج التحليلي** لتحليل البُنى المعرفية الغربية، وتفكيك عناصرها الذاتية والطارئة عبر التاريخ. أما ما يتعلق **بالمنهج النقدي** فالمقصود هو نقد البنية المعرفية الغربية من خلال أدوات منهجية تنتمي إلى المنظومة المعرفية الناقدة، أي إلى المنظومة الإسلامية.

فالمنظومة الإسلامية تمتلك أدواتٍ ومناهجَ معرفية من شأنها إعمالُ الفعل النقدي في المنظومات المعرفية الأخرى. ونحن إذ نمارس الوظيفة النقدية لا نعني بذلك أنَّ بناءنا المعرفي كاملٌ لا نقص فيه، كما يقول ذلك بعض الباحثين،[٣٥] بل نقول: إن لدينا نقصًا ونقائص في كل العلوم التي تقدّم لنا أدوات معرفية نقدية، كعلوم الأصول والحديث والكلام والتفسير، لكنَّ هذا النقص ليس إشكالاً مانعًا من التوظيف؛ بل هو أمر طبيعي يعتري كل الجهود البشريّة التي تشكّل المنظومات المعرفية الكبرى.

(٣٥) يقول الباحث عادل عيساوي: " إنَّ الناظر في فلسفة النظام المعرفي الإسلامي وبنيته المقاصدية؛ حتمًا سيلاحظ أن هناك سلسلةً تربط بين المفاهيم وليس هناك فراغات أو ثغرات داخل هذا النظام ". عيساوي، عادل، **سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي** (الدوحة، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، ط١، ٢٠١٦) ص١٦.

إن أكبر منظومة معرفية في العالم هي المنظومة الإسلامية؛ فهي مترامية الأطراف، بعيدة الأعماق، متنوّعة المجالات المعرفية، ساهم في بنائها أعراقٌ وأجناسٌ ومذاهب وثقافات مختلفة، من أقصى الأندلس إلى أقصى بلاد فارس، آلاف العقول المنهمكة في البحث المعرفي تدفقت جداولها في محيط هذه المنظومة، ومنظومة بهذا الحجم لا يمكن إلا أن تعتريها نقائص وإشكالات، لكنها النقائص المتولّدة عن التفكّر والعمل، عن السعي الدائم والمتنوّع تجاه المعرفة، فلو كان العقل الإسلامي جامدًا لا حراك فيه منذ نشأته ما كنا إذن لنستطيع الوصول إلى هذه الإشكالات. فعلى سبيل المثال، قدّم الإمام الشافعي مشروعه المتمثّل في كتاب «الرسالة»؛ ليخدم الفقيه في عملية الاستدلال الشرعي، وقد نتج عن هذا العمل بعضُ الإشكالات، لكن هذه الإشكالات ليست دليل تخلّف، بل دليل تقدّم؛ لأنَّ الشافعي لو لم يتقدّم وينقل المعرفة من حيّز الجدل الذهني إلى حيّز الجدل المكتوب؛ لما استطاع أن يبني هذا البناء الأصولي، ولو لم يبنِ هذا البناء لما كانت هناك إشكالات توجّه إليه؛ لأنَّ العدم لا يحوي إشكالات، فالإشكالات إذن نتيجة بناء وعمل، وديمومةٍ في الفعل العقلي.

نحن إذ نمارس الوظيفة النقدية لا نعني بذلك أنَّ بناءنا المعرفي كاملٌ لا نقص فيه

والمنهج المقارن يُعنى بالعمل على مقارنة مناهج الفكر ومنتجاته بين المنظومتين الغربية والإسلامية، وهذا ما سنحتاجه بصورة أكبر حين نقارن البنية المصدرية في كلٍّ من الفكرين الغربي والإسلامي، وكذلك نقارن مناهج تناول الموضوعات الفلسفية بين كلٍّ من فلاسفة الغرب والمسلمين.

المبحث الخامس: مباحث علم الاستغراب

ذكرنا سابقًا، أنَّ من شروط العلم أن تكون له مباحث وقضايا محددة تشكّل مناط بحثه، وإلا فإنَّه يكون عُرضةً للاختطاف من لدن كلِّ فوضويٍّ مؤدلجٍ. والمقترح أن تكون مباحث **علم الاستغراب** كالآتي:

➢ **الباب الأول: مقدمات حول علم الاستغراب**

الفصل الأول: مقدمات تمهيدية

المبحث الأول: موضوع علم الاستغراب وتعريفه

المبحث الثاني: جذور علم الاستغراب

المبحث الثالث: غاية علم الاستغراب

المبحث الرابع: هل الاستغراب علم؟

الفصل الثاني: مقدمات في المنهج

المبحث الأول: المثاقفة وشروطها

المبحث الثاني: قواعد في التعامل مع المنظومة الفكرية الغربية

الفصل الثالث: مقدمات في الحضارة الغربية

المبحث الأول: ما مفهوم الحضارة؟

المبحث الثاني: ما الحضارة الغربية وخصائصها؟

المبحث الثالث: مقارنة خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية

➢ **الباب الثاني: مصادر الفكر الغربي**

الفصل الأول: المصادر العقلية:

المبحث الأول: التراث اليوناني

المبحث الثاني: القانون الروماني

الفصل الثاني: المصادر النقلية:

المبحث الأول: اليهودية

المبحث الثاني: المسيحية

➢ **الباب الثالث: تحوّلات الغرب الكبرى**

الفصل الأول: سقوط أثينا

الفصل الثاني: تحوّل الإمبراطورية الرومانية إلى مسيحية

الفصل الثالث: انهيار الإمبراطورية الرومانية

الفصل الثالث: القرون الوسطى

الفصل الرابع: عصر النهضة والتنوير

الفصل الخامس: الثورات الأوروبية

الفصل السادس: الحربان العالميتان

➢ **الباب الرابع: تطوّر الفلسفة الغربية**

الفصل الأول: الفلسفة اليونانية

الفصل الثاني: فلسفة ما قبل القرون الوسطى

الفصل الثالث: الفلسفة المدرسية

الفصل الرابع: الفلسفة الحديثة

الفصل الخامس: الحداثة وما بعدها

➢ **الباب الخامس: منتجات الفكر الغربي**

الفصل الأول: منهجية التعامل مع منتجات الفكر الغربي

الفصل الثاني: المنتجات الفكرية الشمولية

المبحث الأول: الليبرالية

المبحث الثاني: الماركسية

الفصل الثالث: المنتجات الفكرية السياسية

المبحث الأول: الديمقراطية

المبحث الثاني: العلمانية

المبحث الثالث: القومية

الفصل الرابع: المنتجات الفكرية الاقتصادية

المبحث الثالث: الاشتراكية

المبحث الرابع: الرأسمالية

➢ **الباب السادس: الدين والدولة في السياق الغربي**

الفصل الأول: العداوة مع السلطة (المسيحيون الأوائل)

الفصل الثاني: المسيحية والتماهي مع السلطة

الفصل الثالث: المسيحية في خدمة السلطة

الفصل الرابع: المسيحية ما بعد الثورة الفرنسية

➢ **الباب السابع: الغرب وتأسيس العلوم**

الفصل الأول: تأسيس العلوم السياسية

الفصل الثاني: تأسيس علم العلاقات الدولية

الفصل الثالث: تأسيس علم الاقتصاد

الفصل الرابع: تأسيس علم الاجتماع

الفصل الخامس: تأسيس علم النفس

➢ **الباب الثامن: الإسهام الإسلامي في الحضارة الغربية**

الفصل الأول: الإسهام الفلسفي

الفصل الثاني: الإسهام العلمي

الفصل الثالث: الإسهام الأدبي

➢ **الباب التاسع: تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية**

الفصل الأول: تاريخ العلاقات المعرفية

الفصل الثاني: تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية

الفصل الثالث: تاريخ العلاقات الاقتصادية.